مفهوم الإلهام عند النصارى

الباحثة / ندى محمد راجح اليماني

محاضر(تخصص العقيدة وأصول الدين)

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز بجدة- المملكة العربية السعودية

مقدمة

عند بحثي عن معنى الإلهام عند النصارى وجدت الكلام عنه متغيراً بتغير نوع الفكر الذي تناوله، أو تحدث عنه، فكلام اللاهوتيين فيه مختلف عن كلام الغنوصيين، وكلام الصوفية، وكلام هؤلاء مختلفٌ عن كلام الفلاسفة.

وحيث إن الديانة النصرانية اليوم يمثلها على وجه العموم اللاهوتيون، فإني سأعرض رأي كل فريق على حدة، تاركة الرد على الآراء المختلفة حول الإلهام إلى موضعه من الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين، هما:

المبحث الأول: تعريف الإلهام في اللغة، وعند اللاهوتيين.

المبحث الثاني: مفهوم الروح القدس، ودوره في حدوث الإلهام.

وسأبدأ بمشيئة الله، وعونه في المبحث الأول، والذي سأقسمه – إن شاء الله – إلى ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: مفهوم الإلهام لغةً، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الإلهام اللفظي، والمعنوي.

المطلب الثالث: عصمة الكتاب المقدس.

المطلب الأول

مفهوم الإلهام لغةً*، واصطلاحاً.

فأما **المعنى اللغوي** له فقد ورد الإلهام في قاموس ويبستر الكامل أنه:

١- فعل الاستنشاق أو الشهيق؛ أو

٢- سحب الهواء إلى الرئتين؛ أو

٣- قدرة الثدييات على رفع جدران الصدر، وتسطيح الحجاب الحاجز؛ أو

٤- نقيض الزفير[١].

وأما **المعنى الاصطلاحي فينقسم إلى قسمين:**

أ. المعنى الاصطلاحي العام.

ب. المعنى الاصطلاحي الديني.

فأما **المعنى الاصطلاحي العام** له، فاختلف في تعريفه على آراء، من أهمها:

١- القدرة على ممارسة تحفيز، أو رفع التأثير في العقل، و الفكر، أو العواطف، والأحاسيس[٢].

٢- الإلهام كاسم مشتق من الفعل ألهم الذي يعني: التوجيه أو التأثير القدسي الذي يمارس مباشرة على عقل وروح البشر[٣].

٣- تحفيز العقل، أو العاطفة إلى مستوى عالي من الشعور، أو النشاط .

أو هو: حالة كون الشخص محفز إلى درجةٍ عالية[٤].

---

* حاولت جاهدة الوصول إلى معنى الإلهام في اللغة اليونانية باعتبارها لغة الكتاب المقدس ، لكني لم أستطع.

[١]Webster's New universal unabridged dictionary, ٢nd edition, ١٩٨٣, by simon & Schuster, NewYork, u.s.a,p٩٥٠

قاموس ويبستر الجديد للقرن العشرين، الإصدار الثاني، ١٩٨٣م، الناشر: سيمون وسكتر، نيويورك – الولايات المتحدة الامريكية، ص ٩٥٠.

[٢] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[٣]The American Heritage Dictionary of the English Language, fourth Edition, HOUGHTON MIFFLIN COMPANY, Boston – NewYork.

قاموس التراث الأمريكي للغة الإنجليزية، الإصدار الرابع، شركة: هوغتون مفلن، بوستن– نيويورك.

[٤] المرجع السابق، نفس الصفحة.

٤- حالة تؤدي بصفة خاصة إلى أشكالٍ مختلفةٍ من النشاط الإبداعي، وتتميز بتركيز كل طاقة الفرد الروحية على ما هو بصدد إبداعه، وبسموٍ عاطفيٍ يجعل العمل منتجاً بطريقةٍ غير عادية[١].

أما من حيث **المعنى الاصطلاحي** فعلى الرغم من أن طوائف النصارى المختلفة اتفقت على أن الإلهام من فعل الروح القدس، إلا أنهم اختلفوا في تعريفه على قولين:

القول الأول: أنه مرادف للوحي الإلهي، في معناه وكيفيته، فكل ما يقال في هذا يقال في ذاك. وهذا هو رأي الأرثوذكس[٢]، وطائفة من البروتستانت[٣].

القول الثاني: أنه مختلف عنه، ولكلٍّ منهما خواصه ومجاله. وهذا رأي عامة الكاثوليك[٤]، وعامة البروتستانت[٥].

القول الأول:

يرى أصحاب هذا القول الترادف التام بين الوحي والإلهام.

يقول القمص ميخائيل مينا بعد الكلام عن الوحي، وكيفيته، ودلائله: (يرى بعض اللاهوتيين أن الوحي والإلهام بمعنىً واحد، ويرى آخرون أن الوحي هو النبوات، والأسرار، أما الإلهام فينطبق على الأمور التاريخية التي سبق معرفتها بغير الوحي)[٦].

وبناءً على الرأي الأول، فنحن بحاجةٍ إلى معرفة معنى الوحي، لنتعرف من خلاله على معنى الإلهام.

يقول القمص مينا في تعريف الوحي: (الوحي هو: كلام الله المرسل على أفواه أنبيائه القدّيسين، في كتابه الإلهي، بحقائق إلهية، وتعاليم خالية من النقص، ومكتوباً

---

[١] الموسوعة الفلسفية، ص٥٣.

[٢] راجع: موسوعة علم اللاهوت، القمص ميخائيل مينا، تبسيط وتعليق أرشيدياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر، [القاهرة، مكتبة المحبة، د.ت]، ص٨.

[٣] راجع: علم اللاهوت النظامي، ص٦٦.

[٤] المدخل إلى الكتاب المقدّس، التوراة وعالم الشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، ط١، [المكتبة البولسية، بيروت، لبنان ١٩٩٤م]، (٢٩/١).

[٥] راجع: قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٢٠-١٠٢١.

[٦] موسوعة علم اللاهوت، ص٨.

بلغات الناس، وقد أرسل لآدم شفاهاً، ثم كتبه موسى النبي (الناموس والشريعة) وباقي الأنبياء، ورسل العهد الجديد)[١].

عند تحليلي للتعريف السابق، لاحظت عدة أمور، هي:

١) وصفه لكلام الله أنه مرسل على أفواه الأنبياء.

٢) أن تعاليمه خالية من النقص، أي أنها معصومة.

٣) أنه مكتوبٌ بلغات البشر، أي أن الوحي معنويٌّ، وليس بلفظي.

٤) أنه كان شفهياً لآدم، ثم دوِّن على يد موسى النبي.

أما من حيث وصفه لكلام الله بأنه مرسل: فإن النصارى قاطبة يؤمنون بأن كلام الله لهم غايته الأولى إنما هي الكشف عن ذات الله، وأعماله، وإرادته، ومحبته للبشر، وأن هذه الغاية قد لُخِّصت في كلمة واحدة، هي الكلمة المتجسدة في (يسوع المسيح) ابن الله الوحيد؛ حيث إن شخص المسيح في حياته، وأقواله، وأفعاله هو من جسّد المعنى الحقيقي للحب الإلهي للبشر، وإرادة الله لخلاصهم من ربقة الخطيئة الأولى التي ورثوها عن أبيهم آدم، والتي يستحقون العقوبة عليها بالموت مثله، ويبلغ هذا الحب الإلهي مداه حين يفدي الله البشر بابنه الوحيد، فيموت على الصليب ليحمل عن الناس خطيئتهم، ويخلصهم من الدينونة (العقوبة) المنتظرة، هذه هي فحوى رسالة الله للناس (بشرى الخلاص).[٢]

ولما أبلغ الله الناس بهذه البشرى عن طريق ابنه المتجسد، المصلوب فداءً لهم، غدا هذا الابن هو الرسول، وهو الرسالة في ذات الوقت، كيف لا وهو من تتجلى فيه الحياة الإلهية في أبهى صورها، إذ أرسله الآب ليسكن بين الناس، ويطلعهم على أسرار الله في حياته، وموته، بل وقيامته المجيدة أيضاً، وأخيراً بإرساله لروح الحق (الروح القدس) ليعزي المؤمنين، ويثبتهم، ويبررهم، ويقدسهم. وبذلك يكون قد أكمل إعلان (مكاشفة) الله للبشر بعد إنجازه لكل ماجاء في الوحي – كما يقول النصارى –.

هذا أقرب ما قد يفسَّر به قول المؤلف بأن الوحي (كلام الله **المرسل**) على أفواه الأنبياء القديسين.

---

[١] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[٢] انظر: محنة الإيمان، الأب مشير باسيل عون، د.ط، [بيروت، دار المشرق، د.ت]، ص٨٠.

وأما وصفه لتعاليم الكتاب بأنها خالية من النقص، ففي هذا إشارةٌ إلى عصمة الكتاب المقدس. وفي وصفه للوحي بأنه مكتوبٌ بلغات البشر إشارةٌ إلى معنوية الوحي (أنه وحيٌ بالمعنى دون اللفظ)، وسأذكر ما يتعلق بهذين الأمرين مفصَّلاً في هذا المبحث بعد الفراغ من عرض آراء اللاهوتيين حول تعريف الإلهام إن شاء الله.

وأما ماتميَّز به هذا التعريف فهو ذكره لأول تدوينٍ للوحي الإلهي، وهو: (ما كان على يد موسى النبي، إذ كان الوحي في بدء أمره شفهياً مباشراً من الله إلى آدم، حيث كان الله يكلم آدم ويسمع آدم صوته، ليس هذا فحسب بل كان يراه بشكلٍ مرئيٍّ، وهيئةٍ مرئيةٍ بالعين الخارجية كما يذكر كتّاب النصارى)[١]. ويذكرون أنه: (على الرغم من أن الكتاب المقدّس لدى النصارى بعهديه لم يذكر الكيفية التي ظهر بها الله لآدم إلا أن الراجح أنه كان يظهر له على هيئة بشر؛ خاصةً وأن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه)[٢]، وأن آدم كان يسمعه ماشياً في الجنة، وأنه خاطبه قبل الخطيئة وبعدها، ثم تكرر ذلك مع ذرية آدم من الأنبياء وغيرهم ممن أوحي إليهم بوحي معين[٣]، حيث كلمهم الرب بأساليب كثيرةٍ، ومتنوعةٍ، منها:

١. الظهورات البشرية.
٢. الظواهر الطبيعية.
٣. الأحلام، والرؤى.
٤. الملائكة.
٥. الروح القدس.
٦. إعلان الله النهائي في المسيح.[٤]

وقد سبق الحديث عن الأساليب الأربعة في الباب الأول مما يغني عن إعادته هنا*.

---

[١] انظر: الإعلان الإلهي وكيف كلّم الله الإنسان، ص١٦.(بتصرف).

[٢] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[٣] المرجع نفسه، ص٢١.

[٤] المرجع نفسه، ص٢٢، و٢٩، و٣٥، و٤٩، و٧٩، و٨٣، و٨٧.

* راجع المبحث الأول من فصل العقائد المبنية على الإلهام عند اليهود.

ومن أكثر الوسائل الإعلانية استخداماً في الكتاب المقدس بعهديه، والتي استخدمها الله في الاتصال بالبشرية هي حلول الروح القدس على الأنبياء، والرسل، بحيث يتكلم بفمهم، وعلى لسانهم.

وهذا هو عين الإلهام الذي يقصده القوم.

وعلى الرغم من كلام الله مع عدد من الأنبياء، وغيرهم بالوسائل التي سبق ذكرها، إلا أنه لم يأمر أحداً منهم بكتابة هذا الكلام، أو الوحي.

إلى أن أمر موسى النبي بذلك فقال له: " اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ." [خر١٧: ١٤]، وقال له أيضاً:" «اكْتُبْ لِنَفْسِكَ هذِهِ الْكَلِمَاتِ، لأَنَّنِي بِحَسَبِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ» .... فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ."[خر٣٤: ٢٧-٢٨]. وتوالى الأمر بالكتابة بعد ذلك لأنبياء العهد القديم مثل: يعقوب، الذي عُرف بإسرائيل حيث قال له الرب:"[٦]وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، [٧]وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، [٨]وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، [٩]وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ." [تث ٦: ٦-٩]، وكذلك أشعياء حيث قال له:" [٨]تَعَالَ الآنَ اكْتُبْ هذَا عِنْدَهُمْ عَلَى لَوْحٍ وَارْسُمْهُ فِي سِفْرٍ، لِيَكُونَ لِزَمَنٍ آتٍ لِلأَبَدِ إِلَى الدُّهُورِ." [أش ٣٠: ٨]، وغير ذلك من الأمثلة التي لا مجال لذكرها هنا.

وتدرج الوحي المكتوب بعد ذلك في بيان مقاصد الله، وإعلانه عن ذاته تدرجاً يناسب كل جيل من الأجيال كما يرى مؤلفو قاموس الكتاب المقدس؛ إذ يرون أن إعلانات العهد القديم كانت تمهّد للعهد الجديد بإعلانه النهائي عن الله المتمثل في شخص المسيح، ويؤكد مؤلفو القاموس أن دور تعليم البشر الحق الإلهي كان مسنداً دائماً إلى الروح القدس بواسطة الأنبياء، وكان الروح في كل مرة يختار الوسيلة، والأسلوب المناسبين ليوحي بهما إلى الأنبياء، ومن ثم ليعلّم البشر[١].

وعلى كثرة تنوع الأساليب والوسائل للوحي في العهد القديم إلا أنها اتسمت بالنقص، والقصور، ولم ينجبر ذلك النقص، ولم يبلغ الوحي منتهاه إلا بالوسيلة الكاملة العظمى،

[١] قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٢١.(بتصرف).

وهي المسيح ابن الله (الكلمة المتجسد) الذي أرسله الله ليتمم إعلانه عن ذاته، والذي وجد فيه الروح القدس أخيراً وسيلةً كاملةً للإعلان الإلهي، ومن ثم يكون هو الرسول، وهو الرسالة في ذات الوقت. كما تقدم، وقد أورد يوحنا في إنجيله مامفاده أن المسيح هو الكلمة الأزلية الممجّد الذي لم يكن رسولاً غير كامل، وإنما كان الرسالة الكاملة، وبه تكامل الوحي، والإعلان منسجمين، واتحد الروح القدس بالكلمة الحية.

وذلك في قوله تعالى: "[١]فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، وَكَانَ الْكَلِمَةُ الله، ..... [١٤]وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا." [يو ١: ١، ١: ١٤] (١).

إذاً فهذا تعريف للإلهام يجعله مرادفاً للوحي كما أسلفت.

وممن يؤيد هذا الترادف القس جيمس أنس حيث يقول: (الوحي، أو الإلهام هو عمل روح الله في العقل البشري إرشاداً للأنبياء، والرسل، وكتبة الأسفار المقدسة ليظهروا الحق الإلهي معصومين من الخطأ)(٢).

وعند النظر في هذا التعريف نجد أنه يدور حول محورين رئيسين وهما:

١) أن الإلهام هو عمل الروح القدس في عقول الأنبياء، و الرسل، و الكتبة.

٢) أنهم في حالة الإلهام يكونون معصومين من الخطأ.

فهذا التعريف إذاً يجعل الإلهام عملية عقلية، لا نفسية روحية.

وليوضّح لنا المؤلف طبيعة الإلهام(٣)، وما يتعلق به فإنه يقرر عدة أمورٍ مرتبطة به فيقول:

"الوحي فائق الطبيعة (ومعناه ما يعمله الله بإجراء قوته رأساً بدون استعمال وسائط ثانوية)(٤)– الوحي لم ينشأ عن علم الإنسان، ولاعن استعداده الطبيعي، ولا عن أحواله الخارجية بل عن فعل الروح القدس فيه رأساً لغاية معلومة".

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) علم اللاهوت النظامي، ص٦٦.

(٣) اكتفيت بذكره للترادف حسب التعريف.

(٤) المرجع نفسه.

فالمؤلف هنا يبيّن أمرين مهمين متعلقين بالإلهام، وهما:

١) كون الإلهام مباشر من الله إلى النبي، أو الكاتب بدون واسطة، وذلك بناءً على اعتقاد القوم بأن الروح القدس هو أقنومٌ إلهي، ومن ثم فهو جزءٌ من الإله، وليس واسطةً بينه، وبين خلقه.

٢) أن الإلهام هو هبة من الله تعالى عن طريق الروح القدس لا علاقة لها بكسب الإنسان، أو استعداده، وهو بذلك منحةٌ ربانية لا يمكن اكتسابها بالتعلمّ، ولايمكن التنبؤ بمن يستحقها، خلافاً للذين يرون أنه قد يكتسب بالعزلة، والتأمل، ونحوهما.

ولئلا يتبادر إلى الذهن أن الإلهام – الإلهي – حقٌ عامٌ لأي مؤمن، أو أنه من قبيل تفضّل الله وإحسانه على عباده، فإن المؤلف يبيّن أنه يختلف عن أعمال عناية الله العامة الجارية دائماً، كما أنه يختلف عن الإنارة الروحية من الروح القدس للمؤمنين، والتي غايتها تطهيرهم، وتقديسهم وإرشادهم القبول الحق ... ويلخصّ المؤلف الفرق في نقطتين:

(١) أن الملهمين قليلو العدد، ومختارون من قبل الله.

وأما الذين تجددوا بالروح القدس فهم كل المؤمنين الحقيقيين، الذين أنارهم الروح القدس لقبول الحق الإلهي، ولا يعني ذلك أنه يكشف لهم حقائق جديدة غير تلك التي في الكتاب المقدس، وإنما يساعدهم فقط على إدراك ما في الأسفار الإلهية من التعاليم.

(٢) أن الإلهام يجعل الملهمين معلَّمين ومعصومين، ولكن ليس من الضروري أن يقدسهم. وضرب لذلك مثالاً ببلعام الذي أوحي إليه – أُلهم– رغم عدم قداسته وشاول[١] كذلك.

أما الإنارة فمن وسائط التقديس[٢].

ولما كان عند النصارى ما يُعرف بالإعلان، وهو ضربٌ آخرٌ من كشف الغيب، وهو كالوحي مباشر من الله لعقل النبي، وقد يخلط البعض بين الأمرين، فقد وضّح المؤلف الفرق بينهما في المعنى، والغاية.

---

[١] اسم عبري معناه "سُئل من الله" وهو: ملك من ملوك أدوم، من رحبوت التي تقع على نهر افراته (الفرات). [انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٠٢].

[٢] علم اللاهوت النظامي، ص٦٧.

فأما من حيث المعنى، فيذكر المؤلف أن:

الإعلان هو: كشف حقٍ إلهيٍ لعقل النبي مباشرةً لا يقدر أن يعرفه بطريقة أخرى، والوحي هو: إرشاد النبي إرشادًا خاصًا يجعله قادرًا أن يبين الحق بدون خطأ، فغاية الوحي هي: حفظ الموحى إليه من الخطأ في القول و الكتابة، وغاية الإعلان تبليغ المعلَن له بما هو مجهولٌ عنده[١].

فمن حيث المعنى: يختص الإعلان بكشف الغيب للنبي كشفاً إلهياً، بحيث يتعذّر كشفه له بغير تلك الطريقة، مهما استند على أمور عقلية واستدلالية.

أما الإلهام (باعتباره مرادفاً للوحي) فإنه: يختص بعصمة النبي في تبليغ الوحي وبيانه للناس.

ومن ثمّ كانت غاية الوحي (الإلهام) تتجلّى في:

١. عصمة الملهم من الخطأ.

٢. تكليفه بتبليغ ذلك الإلهام قولاً، أو كتابةً.

بينما غاية الإعلان هي: مجرّد كشف أمرٍ غيبي لشخص النبي دون تكليفه بتبليغه.

وبناءً على ما سبق يرى المؤلف أن بين الإلهام، والإعلان عموماً وخصوصاً، بحيث يجتمعان في أمرٍ، وينفرد أحدهما عن الآخر في أمر.

فهما يجتمعان في الإعلان أي كشف الغيب، وينفرد الإلهام أو الوحي في تبليغ ذلك الأمر المعلن لغيره، إما قولاً، أو كتابةً، وبذلك يكون كل إعلانٍ وحي، وليس كل وحي إعلاناً[٢].

كما يذكر المؤلف أن من الناس من يكون له كلا الأمرين، كموسى النبي، وبولس[٣]، ويوحنا[٤].

---

[١] المرجع نفسه.

[٢] وأنا أرى أن العكس هو الصحيح. فكل وحي إعلانٌ، وليس كل إعلانٍ وحيًا.

[٣] هو رسول الأمم حسب اعتقاد النصارى – كان يهوديًا اسمه العبري " شاول" ثم تسمى ببولس في العهد الجديد، وكان مضطهدا للنصارى حتى تجدّد، وصار من أكبر دعاة النصرانية .[انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٥].

[٤] صاحب الإنجيل الشهير، هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل، ابن خالة المسيح وأحد تلاميذه المخلصين. [انظر: القاموس، ص١١٠٨].

ومنهم من كان له وحي فقط كمعظم كتبة أسفار العهد القديم على وجه الخصوص، والذين لم يحتاجوا إلى الإعلان (كشف الأسرار الإلهية)، ومثل: لوقا[١] الذي لم يعرف ماكتبه بواسطة الإعلان بل من الذين " كانوا من البدء معانيين للكلمة "[٢] [لو ١ : ٢].

إذاً فموسى النبي، ويوحنا، وبولس كانوا أصحاب إعلان إلهي، كشف لهم بعض أمور الغيب من الله، وفي نفس الوقت كانوا أصحاب وحي مكّنَّهم من كتابة، وتبليغ ما أُعلن لهم من الغيب من دون خطأ.

وفي مقابل هؤلاء طائفةٌ من الكتبة كانوا أصحاب وحي فقط؛ بمعنى أنه لم يُكشف لهم من أمور الغيب شيئاً – لعدم احتياجهم إلى ذلك – ولكنهم أُمروا بتبليغ مراد الله (المُعلن لغيرهم) كتابةً، وفي نفس الوقت كانوا معصومين في هذا التبليغ.

وممن يؤيد الترادف أيضاً مؤلف دائرة المعارف البريطانية، فقد ورد في تعريف الإلهام فيها ما يلي:

الإلهام في الدين هو: تلك الملكة[٣]التي تمكن – بقدرة الإله – الشخص الملهم من رؤية وإيصال حقيقة القوى الخارقة، فالكاهن الدلفي[٤] عند الإغريق والشامان[٥] الملهم عند بعض الشعوب يعتقد بأن لديهم القدرة على التكهن بالمستقبل والنظر في الأسرار الإلهية الأخرى.

أما بالنسبة لليهودية والنصرانية والإسلام، ففكرة الإلهام ترتبط بشكل كبير (ولكن ليس حصراً) بالكتب المقدسة. فجميعهم يتفقون، مع وجود اختلاف في نسق الجمل، أن "الكتاب بأكمله إلهام من عند الله (الإله)"[٦].

---

[١] اسم لاتيني ربما كان اختصار (لوقانوس) وهو صديق بولس الرسول، ورفيقه في أسفاره إليه ينسب الإنجيل الثالث، وسفر أعمال الرسل، يُعتقد أنه أممي، ولدفي أنطاكية وقد كان طبيباً ماهراً .. [انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٨٢٢].

[٢] علم اللاهوت النظامي، ص٦٧ . (بتصرف).

[٥] الكاهن والعرّاف في ديانات الشمال الأقصى، وهو المشعوذ والمطبب والقائم بطقوس العبادات في الديانات البدائية، والذي كان يكشف للناس إرادة الآلهة، ويخبرهم بالغيبيات وأمور المستقبل.[انظر: أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية، م.ريجكسي، ترجمة: د. آحويوسف، ط٢ [دمشق، دار الينابيع، ٢٠٠٧م]، ص٢٥.

[٦] Encyclopaedia Britannica (macropaedia & micropaedia "ready reference & index") ١٥th Edition . Chicago , ١٩٧٨.

ويتضح لي من خلال تأمل التعريف السابق:

أنه قسّم الإلهام إلى قسمين:

١. أنه: قوةٌ داخليةٌ، وقدرةٌ شخصيةٌ في الملهم لا تأتيه من الخارج، بل هي وليدة استعداد ذاتي يؤهله للاتصال بالعالم العلوي لكشف الغيبيات، ومعرفة خفايا المستقبل، بل والنظر في الأسرار الإلهية كذلك.ووفقاً لهذا القسم يكون الإلهام في عمومه مرادفاً لما كان يفعله الكهنة والعرّافون في الديانات الوثنية القديمة، من حيث القدرة على الاتصال بالآلهة، واكتشاف الغيب، وهذا ما يجعل الإلهام –بهذا المعنى– مطلوباً أو مكتسباً لا وارداً بلا مقدمات.وسأرجئ الكلام على هذا إلى موضعه من بيان موقف الإسلام من دعوى الإلهام عند النصارى إن شاء الله.

٢. أنه: **مرادف للوحي** عند أصحاب الديانات السماوية الثلاثة –من وجهة نظر مؤلف دائرة المعارف–، حيث يتعلق بالكتب السماوية المقدسة من ناحية كونها من عند الله. وبهذا المعنى اعتبرت ملهمة عند أهل الكتاب، والترادف بين المعنيين عند القوم يتضح هنا بجلاء، أما في نظر الإسلام فالإلهام مختلف عن الوحي، وبذلك يكون القرآن الكريم موحى به وليس ملهماً، وسنبسط القول في ذلك عند بيان موقف الإسلام من مفهوم الإلهام عند أهل الكتاب إن شاء الله.

ويؤيد الترادف أيضاً مؤلف قاموس ويبستر الجديد للقرن العشرين ،فقد ورد فيه في تعريف الإلهام ما يلي:

في اللاهوت (علوم الدين): تأثير إلهي مقدس على الأنبياء، والحواريين، أو كُتاب الكتب المقدسة يؤهلهم لتبليغ الحق سواء المتعلق بالأمور الدينية، أو الأخلاقية بإقناع .

أو هو: قوة أو نفوذ فوق الطبيعة يؤهل الرجال لتلقي وتبليغ الحق السماوي؛ وهو أيضا، الحقيقة المنقولة، فالكتاب المقدس بكامله (وحيٌ) بإلهام الله[١].

وأستطيع من تحليل النص السابق أن أبيّن خصائص الإلهام – من وجهة نظر المؤلف– في النقاط التالية:

١- أنه بفعل تأثيرٍ إلهيٍ مقدس (فوق طبيعي)، وليس من بنيات أفكار الإنسان أو حديث نفسه.

---

[١] قاموس ويبستر الجديد، ص٩٥٠.

٢- يشمل الأنبياء، وغيرهم من الحواريين والكتبة.

٣- غايته إبلاغ الحق الإلهي.

٤- أبرز ثمرة له هي تدوين الكتاب المقدس، بحيث يسمى الكتاب –ذات الكتاب– (وحياً) أو (إلهاماً) من الله.

كان هذا عرضًا للرأي الأول القائل بالترادف بين الوحي، والإلهام.

القول الثاني:

أما الرأي الثاني فهو القائل بالتغاير والاختلاف بينهما، وأن لكل منهما تعريفه، وخصائصه.

يقول القمصّ ميخائيل مينا: (ويرى لاهوتيون آخرون أن الوحي هو النبوات والأسرار، أما الإلهام فينطبق على الأمور التاريخية، التي سبق معرفتها بغير الوحي)[١].

وعلى هذا يكون الوحي مختصًا باللاهوت (كما يسميه النصارى) في حين أن الإلهام يختص بالأمور التاريخية، ويميل إلى الناحية الفكرية أكثر من ميله للأمور اللاهوتيه.

ويؤيد هذا الاختلاف مؤلفو قاموس الكتاب المقدس، حيث يذكرون فرقًا جوهريًا بين الوحي والإلهام، ويقررون أن الوحي مختصٌ بقضايا الإلهيات وتعريف البشر بربهم، وأوامره لهم عن طريق أشخاص مختارين من قِبلِ الله، ومهيئين لقبول هذا التكليف، خلافًا للإلهام الذي هو بمثابة المنبّه لموهبةٍ مستعدةٍ للإبداع لا صلة له بعلم اللاهوت أصلاً.

فيقولون: "وهناك بونٌ شاسعٌ بين الوحي الذي يعلق الله للبشر إعلانًا كاملاً، والإلهام الذي يوقظ العبقرية البشرية، ولذا وجب ألاّ نخلط بين وحي أشعيا[٢]، أو وحي بولس الذي له ميزته وخطورته في عالم العقيدة الدينية، وإلهام

---

[١] موسوعة علم اللاهوت، ص٨.

[٢] سبقت ترجمته ١٠٥.

شكسبير[١] مثلاً في عالم الشعر، والأدب، أومندلسون[٢] في عالم الموسيقى، أو أفلاطون[٣] في علم الفلسفة" [٤].

وبهذا الاعتبار يكون الإلهام غير معصومٍ خلافاً للوحي، فقد يلهم شخصٌ شخصًا آخر أمرًا معينًا لكن لاتكون له بالطبع عصمةٌ؛ لأن هذا الإلهام على هذا النحو إنما يكون من فكرٍ بشريٍّ معرّضٍ للصواب، والخطأ.

كما يؤيد الاختلاف ماذكره الخوري بولس الفغالي في معرض حديثه عن الوحي حيث يقرر أن (الوحي في قواميس اللغة العربية هو ما يلقيه الله إلى أنبيائه، فيعطيهم علمًا وفهمًا، ويقابله الإلهام وهو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمرًا يبعثه على فعل شيءٍ، أو تركه.

أما في اللغات الأجنبية، فالوحي يعني أن الله يكشف عما كان سرًا، ويعلّم الإنسان ما كان مجهولاً لديه من أمور تفوق الطبيعة.

وأما الإلهام، فيدل على حركاتٍ، وأعمالٍ، وأفكارٍ مرجعها نفخٌ إلهي يشبه النفخ الذي يدخل الهواء إلى الصدر، فيعمل الملهم كنسمة الهواء في النفس، و الروح.

---

[١] اسمه وليم شكسبير(١٥٦٤-١٦١٦م) أشهر المسرحيين الذين عرفهم العالم، ولد ونشأ في عائلة مرموقة المكانة في بلدته(ستراتفورد-أبون-آفون)، تعلم اللتينية وكانت لغة الثقافة مما بوّأه مكانةً رفيعةً في فترة وجيزة.[انظر: الموسوعة العربية العالمية، (٢١٥/١٤)].

[٢] مندلسون فيلكس: (١٨٠٩-١٨٤٧م)

ملحن وعازف بيانو وقائد موسيقي ألماني، كان أول ظهوره للجمهور عازفًا للبيانو عندما كان في التاسعة من عمره، وكتب أول ألحانه الموسيقية وهو في العاشرة، وما بلغ سن المراهقة حتى صار ملحنًا ذائع الصيت، وقد يكون أشهر ملحني عصره. [انظر: الموسوعة العربية العالمية، (٢٢٩/٢٤)].

[٣] أفلاطون: ولد عام٤٢٧ ق.م، من أشهر فلاسفة اليونان، تتلمذ على فيثاغورس، ثم سقراط. وأشهر آرائه مايعرف بنظرية المثل، وفيها يرى أن الوجود ينطوي على ثنائية: فهناك عالم المثل، وهو عالم الحقيقة المطلقة، وعالم الأشباح، والظلال، وتظهر الصلة بين العالمين في أن عالم الظلال يعد أصداء، وأشباح، ونسخ باهتة لعالم المثل، وهو الفيلسوف اليوناني الوحيد الذي وصلت كتبه كاملة إلينا، وهي عبارة عن محاورات ورسائل. [انظر: أفلاطون، مصطفى غالب.[بيروت، منشورات دار ومكتبة الهلال، ١٩٧٩م]، ص١٣ وما بعدها/ ونظم الفكر الغربي، علي عبد المعطي محمد، علي حنفي محمود، عزمي طه السيد، زكريا بشير إمام، ط١، [الكويت، مكتبة دار الفلاح، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م]، ص٤٥].

[٤] قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٢٠.

وهكذا عبر الوحي تصل إلى الناس حقيقة الله، وعبر الإلهام يعمل الله في الكاتب المكرَّم فيدفعه إلى أن يكتب ما أوحى به إليه)[1].

ومن خلال هذا التعريف نلاحظ عدة أمور:

١. إثبات التفرقة بين تعريف كلٍّ من الإلهام، والوحي في قواميس اللغة العربية، وقواميس اللغات الأجنبية.

٢. معنى كلٍّ من الوحي، والإلهام في قاموس اللغة العربية، وفي قواميس اللغات الأجنبية.

٣. الغاية التي تهدف إليها كلاهما.

أما من حيث التفرقة في المعنى فلا غرابة في اختلاف المعاني بين لغةٍ، وأخرى، ولعل اختلاف المعنى اللغوي بين الوحي ذاته في اللغة العربية، والذي هو بمعنى الإعلام، والوحي في اللغة العبرية والذي هو بمعنى النَفَس، أو التنفس أحد الأمثلة الكثيرة على اختلاف معاني الألفاظ من لغةٍ لأخرى.

وأما معنى الوحي الاصطلاحي في قاموس اللغة العربية فهو – كما أورده الخوري بولس: إلقاء من الله إلى أنبيائه فيعطيهم علمًا وفهمًا، فقد خص الأنبياء هنا بالتعليم، والتفهيم من جهة، ولم يذكر واسطة بينهم، وبين الله من جهةٍ أخرى.

بينما في قواميس اللغات الأجنبية هو: كشف الله عن أسراره للإنسان، وتعليمه له ماكان مجهولاً لديه من أمورٍ غيبية تفوق الطبيعة، أي: خارجةً عن إطار الطبيعة ولاسبيل إليها بالنظر والاستدلال.

وكأنه بذلك يعم نوع الإنسان بأكمله دون تمييز بين الأنبياء، وغيرهم، وهذا يذكّرنا بتعريف الإعلان، إذ هو كشف الله عن غيبه للإنسان، وقد نفهم من هذا التعميم الترادف لدى الخوري بولس بين الوحي، والإعلان، إلا أن النصارى على اختلافهم لايرون هذا، ولا يقروّن بالترادف التام بين الإعلان، والوحي.

وإنما يخصّون الأنبياء بالوحي في حين يعم الإعلان الأنبياء، وغيرهم كما سبق وذكرنا ذلك في كلام القس جيمس أنِس، وبذلك نستطيع القول أنه ربما قصد الخوري

---

[1] المدخل إلى الكتاب المقدسّ، (٢٩/١).

بولس هنا: أن الأسرار تكشف للإنسان عن طريق الأنبياء ولكنه لم يذكرهم لبداهة كون الوحي خاصٌ بالأنبياء، أو بالنظر إلى كون النبي لايعدو أن يكون إنساناً.

وفي مقابل الوحي يورد المؤلف الفرق بين معنى الإلهام في قاموس اللغة العربية، وقواميس اللغات الأجنبية، فيبيّن أن الإلهام في اللغة العربية هو: إلقاء الله لأمرٍ في نفس الإنسان بحيث يخصّه على فعل شيءٍ، أو تركه.

فعمّم الإلهام على الأنبياء، وغيرهم بينما خصّهم بالوحي فقط، كما بيّن أنه فعلٌ مباشر من الله لا واسطة فيه بينه، وبين الإنسان.

بينما اللغات الأجنبية: هو نفخٌ إلهيّ في نفس الملهم، وروحه يدفعه إلى فعل حركاتٍ، وأعمالٍ، أو اعتناق أفكارٍ معينة. فهو مباشرٌ من الله إلى نفس الإنسان، وروحه من جهة، وغير مرتبط بما فوق الطبيعة من غيبيات لاسبيل إليها بالعقل، أو الحس من جهةٍ أخرى.

وهذا يؤيد ما أورده القمص ميخائيل مينا من فرقٍ بين الإلهام، والوحي، حيث ذكر أن الإلهام عند من يرون التفرقة بينه، وبين الوحي مختصٌ بالأمور التاريخية، والأدبية التي يمكن معرفتها بغير الوحي.

وقد اتفق ماذكره الخوري هنا عن آلية الإلهام وأنه (نفخٌ إلهي) مع ما ذكره الأب متى المسكين[1] نقلاً عن الفيلسوف أثينا غوراس* حيث يرى أن الروح القدس في عملية الإلهام ينفخ في الإنجيليين كما ينفخ الموسيقيُّ في مزماره، وهو بذلك يرفع الكاتب عن قدراته الطبيعية الخاصة، ليكسبه قدراتٍ جديدة تؤهّله للنطق بالحق وتدوينه،

---

[1] متى المسكين: اسمه يوسف اسكندر أحد بطارقة الأقباط الأرثوذكس انقطع للرهبنة في دير الأنبا مقار، وفيه ألف ما يزيدعلى الـــ ١٨٠ كتابا و٣٠٠ مقالة، منها شروحاته لأسفار العهد الجديد، كما ألف مجلداً ضخماً عن القديس أثناسيوس، ومجلدين عن الرهبنة في مصر، وبعض هذه الكتب ترجم إلى لغاتٍ عديدة. وهو صاحب منهج خاص في تفسير الكتاب المقدس؛ حيث يقوم بإعادة ترجمة النص والتعرف على كاتبه، ثم يبدأ في الشرح، والتفسير من خلال نصوص الآباء. وقد توفي في (٨ يونيو ٢٠٠٦م) عن عمر يناهز (٨٧) عاما، ودفن في دير أنبا مقار في حفرة حفرها بنفسه في الجبل.

* حاولت جاهدةً الرجوع إلى الكتاب المذكور فلم أتمكن.

ليس هذا فحسب بل إنه يصف هذه الحالة من الخروج عن الطبيعة البشرية بالجذب الإلهي الذي يجعل الإنسان مجرد ناطقٍ بالإلهيات التي طبعها فيه الروح القدس[١].

ولا ننسى هنا أن نذكرّ بأن هذه الإلهيات التي كُلِّف الملهم بتدوينها ليست إعلاناتٌ جديدة – كما يعتقد القوم –، وإنما هي إعلاناتٌ قد كشف الله عنها للأنبياء والرسل سلفاً.

وإنما وظيفة الملهم هنا التدوين فقط، ودور الروح القدس في هذه العملية الجذبية الإلهية هي عصمة الملهم من الخطأ في الكتابة فحسب.

ولذلك بيّن الخوري بولس أن الغاية من الوحي هي: تعريف الناس حقيقة الله، ذلك أنه لاسبيل لمعرفتها بغير الوحي.

بينما غاية الإلهام هي: دفع الكاتب إلى كتابة ما أوحى به الروح القدس إليه.

وأرى في الجملة الأخيرة شيئاً من تخصيص الكتابة بالأنبياء مما ينمُّ عن تجاهل لبعض الكتبة لاسيما، وأن بعض كتبة الأسفار المقدسة (القانونية) لم يكونوا رسلاً، ولا أنبياءً أمثال الطبيب لوقا، ومرقس.

ويؤكد المؤلف على هذا التخصيص حيث يقول: (ينزل الروح على رجال الله فيحرّك قلوبهم، ويوجّه حياتهم وأعمالهم، ويجعلهم يعيشون هذا الوحي، ويعلنونه، ويكتبونه، كلامًا نقرأه في كتاب)[٢].

والخوري بولس إذ يصرّ على هذا التعبير فإنه يدفعنا إلى القول بأحد الأمرين:

- إما أنه يعمم الوحي على الأنبياء، وغيرهم، وبذلك نعود لما ذكرناه سابقاً من احتمالية الترادف بين الوحي، والإعلان عنده، وهذا مالم يقل به صراحةً، بل وصرّح بخلافه في أكثر من موضع في كتاباته المختلفة.
- وإما أنه يقصر الكتابة على الأنبياء، وهذا هو الراجح، بدليل قوله عند حديثه عن مراحل تكوّن الوحي:

" ويسيطر الروح على من يختاره الرب فيدفعه أيضًا إلى الكتابة ..... "[٣].

---

[١] الروح القدس الرب المحيي، (٢/٤٠٠) [نقلاً عن: Legatio٩].

[٢] المدخل إلى الكتاب المقدس، ص٣٣.

[٣] المرجع نفسه، ص٣٤.

ويستدل على ذلك بموسى، وأشعيا، ويوحنا، وبولس، وغيرهم من أنبياء العهدين القديم، والجديد.

لكن وجود إنجيلي، مرقس، ولوقا ضمن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى كافة طوائف النصارى ليوقع هذا القول في حرجٍ شديد.

إذاً خلاصة الرأي الثاني هي: أن هناك فرقٌ بين الإلهام والوحي، فالوحي هو: كشف الأسرار الإلهية لنفوس الأنبياء خاصة، – وهو من فعل الروح القدس –، أما الإلهام فإنه توجيه، أو سيطرة الروح القدس على نفس كاتب السفر المقدّس، بحيث يكون معصومًا في كل ما يكتب، سواءٌ كان نبياً، أو غير نبي.

سنترك الرد على هذا القول في باب الرد على النصارى في دعواهم الإلهام إن شاء الله.

ورغم أن الرأي الأول (الترادف) هو رأيٌ لا يستهان به، إلا أننا نجد أن دوائر المعارف والموسوعات، والقواميس تتحدث عن الوحي الإلهي، وأنه قد دوّن بإلهام الروح القدس، على أيدي الكتبة والذين بلغ عددهم أربعين كاتبًا – كما يذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس – [1] ومعلومٌ أن كثيرًا من هؤلاء الكتبة لم يكن نبيًا، ولا رسولاً، كما أن بعضهم لم يرافق المسيح، وإنما رافق بعض رسل المسيح، مثل لوقا الذي رافق بولس الرسول، والذي لم يرافق المسيح حيًا بل كان من ألدّ أعدائه و أكثرهم بطشاً بالمؤمنين به، و إنما ظهر له المسيح بعد قيامته في عمودٍ من نورٍ أثناء طريقه إلى دمشق – كما ذكر بنفسه، وصدّقه جميع النصارى– فهداه إلى الطريق الحق، وأمره بتبليغ دعوته إلى الأمم الكافرة معارضًا بذلك أمره الأول لتلاميذه الأثني عشر المقربين في قوله:

" إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. ٦بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. " [متى ١٠: ٥-٦].

وقد كان هناك من كتبة العهد القديم من كان جلّ عمله تفسير الناموس، وتعليمه للناس، ولم يكن من الرسل، ولا من أتباعهم.

ومع ذلك فقد وصفت النسخ التي كتبوها بأنها مقدسّة، ومعصومة، وأُقرّت شروحهم على الكتاب المقدس، وعُرفت (بالتقليد).

---

[1] انظر قاموس الكتاب المقدس، ص٧٦٢.

ثم قد ثبت من كلام الخوري بولس السابق أن هناك فرقاً واضحاً بين المصطلحين في اللغة. وفي ترجيحنا للرأي الأول تصادم مع هذه الحقيقة، وخلط بين الأنبياء، وغيرهم باعتبارهم هم حملة الأسرار الإلهية، ومسئولون عن تبليغها للبشر دون غيرهم. ومن هنا نستطيع أن نفرّق بين كشف الأسرار الإلهية وبيان مراد الله للبشر عن طريق الأنبياء، وهو موضوع الوحي، وبين تدوينه، أو تفسيره، وهو موضوع الإلهام.

وعلى الرغم من أن كلاً منهما هو من عمل الروح القدس. كما تقدم إلا أن الإلهام من وجهة النظر النصرانية يشمل غير الأنبياء من ناحية، ويقتصر أثره على العصمة في الكتابة من ناحيةٍ أخرى، كما أنه يستند على ما سبق كشفه للأنبياء سلفًا.

وبهذا وبعد عرضنا لهذين الرأيين في تعريف الإلهام، يترجّح لدينا أن هناك فرقٌ بينهما وأن هناك تلازمٌ بينهما أيضًا.

فالإلهام مختلفٌ عن الوحي، ولكنه لا يوجد إلا لتدوينه، وتبليغه.

المطلب الثاني

الإلهام اللفظي والمعنوي.

انقسمت أقوال اللاهوتين في ذلك إلى ثلاثة أقسام:

١. قسمٌ يرى أن الكتاب كان موحى به من الله بالمعنى، أي: أن الله أوحى لكتبة الأسفار المقدسة بالأفكار التي عبرّوا عنها بلغتهم البشرية، ومن أنصار هذا الرأي الأب توماس ميشال اليسوعي حيث يبين أن الله تعالى هو المؤلف الأخير للكتاب المقدس – على حد تعبيره – فهو ألفه بواسطة مؤلف بشري عمل فيه بروحه، ويقرر أن المسيحيين على وجه الإجمال لا يؤمنون بأن الله أملى الكتب المقدسة على المؤلفين من البشر، وإنما أتاح الله للمؤلف، أو الكاتب البشري أن يعبّر عن الرسالة الإلهية بطريقته الخاصة، مستخدمًا قدراته الشخصية الفنية، والأدبية[١].

ويؤيده في رأيه هذا الخوري بولس الفغالي حيث يقرر أن: (الله هو واضع الكتاب المقدس، كما أن الإنسان كذلك واضعٌ له، فالله يؤثر في إدارة الكاتب الملهم فيدفعه إلى الكتابة، ويؤثر كذلك على عقله فيعطيه فهم الأمور الإلهية، والقدرة على إيصالها للبشر بطريقة تساعدهم على فهمها على قدر طاقتهم لفهم الأمور السماوية، ولكنه يُعزي الفعل الأخير في تدوين كلام الوحي الإلهي إلى البشر، وأن له كامل الحرية في اختيار اللغة، والألفاظ المناسبة لعصره، وزمانه، ليس هذا فحسب، بل إن الكاتب لفرط حريّته بوسعه أن يرفض الاستجابة لنداء الله له بالكتابة تمامًا كما فعل يونان[٢] النبي عندما رفض حمل كلام الله إلى أهل نينوى، وهرب بعيدًا عن وجهه)[٣].

٢. ويرى فريقٌ آخر من اللاهوتيين أن الوحي في الكتاب المقدس، كان وحياً مطلقاً كاملاً قد عم الألفاظ والمعاني، وأن كل جزء من الكتاب هو كلام الله (أنفاسه ونسماته)، وبهذا فإن أصحاب هذا الرأي يرفضون مبدأ الاستنارة؛ أي طلب النور من

---

[١] مدخل إلى العقيدة المسيحية، الأب توماس ميشال اليسوعي، ت: الأب كميل حشمت اليسوعي، ط٢، [بيروت، دار المشرق، د.ت]، ص١٨.

[٢] يونس عليه السلام، [انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١١٢٦].(ويظهر ذلك من خلال قصته المذكورة في العهد القديم والتي تطابق وصف القرآن الكريم.– الباحثة–).

[٣] المدخل إلى الكتاب المقدس، ص٣٨.

السماء (من الآب أو الابن) لبيان الحق الإلهي، والذي يزعم أن الوحي كان وحياً جزئياً، أو على درجات[١].

ويوافق على هذا القول القس جيمس أنِس؛ حيث يؤكد أن الكتاب، وإن كان قد كُتب بأيدي البشر بواسطة عقولهم وقواهم الروحية؛ إلا أنه كلام الله، وبذلك فإن الوحي قد عمّ الألفاظ، والأفكار[٢].

ويستدل هذا الفريق على رأيه بقول المسيح: " وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ " [يو ١٠: ٣٥].

إذاً فالمكتوب كله من الله، وقول القديس بولس "١٦كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ " [٢تى ٣: ١٦].

ويذكر القمّص ميخائيل مينا آراء اللاهوتيين في ذلك، فيذكر أن البعض يرى أن الكتاب أنفاس الله، ونسماته فهو وحيٌّ مطلق، وهذا ما اختاره القمص ميخائيل، فيما يرى البعض الآخر أن الروح القدس لم يوحِ بالكتاب على نسقٍ واحد، بل على أنحاءٍ مختلفة.

فالناموس (شريعة موسى في العهد القديم) نزل بلفظه، و عباراته، أما ماعدا ذلك مما جاء في الكتاب كالتواريخ، والأمور الأدبية مما سبق معرفته بالمشاهدة، أو السمع، أو القراءة في كتبٍ قديمة فلا حاجة في أن يلهمهم به الروح، و إنما لقنّها لهم على أساس أنه حرّكهم، وأنار عقولهم ليختاروا أمراً ويتركوا آخر، وأرشدهم إلى نسق العبارات، وترتيب الكلمات، والجمل، وفي نفس الوقت عصمهم من الخطأ فيما كتبوه، وبذلك لم يكونوا ليهملوا شيئاً مما أراد الله أن يكتبوه[٣].

وهذا الكلام يدعم الرأي القائل باختصاص الإلهام بالأمور التاريخية، والأدبية، وتفردّه عن الوحي بها.

٣. وهناك فريقٌ ثالثٌ اتسم رأيه بالتناقض، وعدم الوضوح، حيث يقرر أصحاب هذا الرأي أن الكتاب المقدس موحىً به حرفياً من الله عن طريق ربط الروح القدس الداخلي بين فكر الكاتب والكلمات الموحى بها، وهيمنته على كليهما.

---

[١] انظر دائرة المعارف الكتابية، (٣٢٤/٦).

[٢] انظر: علم اللاهوت النظامي، ص٦٧.

[٣] انظر: موسوعة علم اللاهوت، ص١٢.

ومع ذلك فإنهم يرفضون أن يكون الكتبة مجرد آلات تسجيل (حسب تعبيرهم) لكلام الوحي دون إدراكٍ لمعانيه، وأن تكون عملية الوحي الحرفي مجرّد إملاءٍ، أو عملية ميكانيكية، ويقررون كنوعٍ من الفرار من صعوبة التوفيق بين الأمرين أن طبيعة الوحي الدقيقة لا يمكن تحديدها، فهي سرّ من أسرار الله، أو معجزة من معجزاته، لا يعلم دقائقها إلا الله نفسه، ويعتذرون عن استعمالهم لكلمة (حرفي) في التعبير عن وحي الكتاب المقدس مع رفضهم البات بأن يكون الروح القدس قد أملى كلمات الكتاب على أناسٍ كانوا مجرد آلات تسجيل، بأن كلمة (حرفي) مع غموضها – كما يعترفون – هي أفضل تعبير عن سيطرة الروح القدس على الكتبة؛ حتى لتعتبر كلماتهم هي كلمات الروح القدس نفسه[١].

ومع أن القس جيمس أنِس كان قد اختار سلفاً الرأي القائل بعموم الوحي للألفاظ، والمعاني إلا أنه في معرض حديثه عن طبيعة الوحي عند الإنجيليين يورد عبارة تُشعِر بتردده هو الآخر في مفهوم الوحي الحرفي.

فيقول: (كان الموحى إليهم آلات في يد الله، بمعنى أن ما علّموه وكتبوه هو تعليم الله، فلم يغيّر الله طبيعتهم ولا قادهم بطريقة تخالف قواهم الطبيعية، لأن الذين استعملهم آلات في يده استعملهم دائماً حسب طبيعتهم، سواءٌ كانوا ملائكة أو بشراً)[٢].

فهو يريد أن يؤكد أن الكتبة في حالة الإلهام، أو الوحي لم يفقدوا صفاتهم البشرية، ولا قواهم الفكرية والعقلية، ولم يكونوا مجرد آلات تسجيل لكلام الروح القدس، وإنما عصمهم الروح القدس وقادهم للحق وفق طبائع كلٍّ منهم.

ويدلل على ذلك بوضوح صفات الكتبة في ثنايا الكتاب بحيث تتضحّ ثقافة كل منهم، وبيئته في كتاباته، فقد ظهرت عامية عاموس في كتابته، كما ظهرت عاطفة يوحنا، و تأملاته، وعلم موسى وقوته ..... وهكذا كانت القدرات العقلية لكلٍّ منهم ظاهرة جداً في كتاباته، مما يدل على أن الروح القدس أنار عقولهم وقلوبهم لقبول الحق وتبليغه للناس دون أن يخسروا شيئاً من صفاتهم البشرية [٣].

---

[١] انظر دائرة المعارف الكتابية، (٦/٣٢٤-٣٢٥) .

[٢] علم اللاهوت النظامي، ص٦٨.

[٣] انظر: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

المطلب الثالث

عصمة الكتاب المقدس.

على الرغم من تأكيد المجمع الفاتيكاني الثاني على عصمة الكتاب المقدس بكل أجزائه باعتباره صادراً عن الروح القدس مستندين على قول الرسول بولس " [١٦]كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ ..... "[(١)] [٢ تي ٣ : ١٦].

إلا أن هناك من لا يثبت العصمة الكاملة للكتاب المقدس، أو بالأحرى لايثبت العصمة الحرفية للكتاب.

وهذا الأمر مبنيٌّ على التسليم بالوحي الحرفي للكتاب المقدس، فمن سلّم بأنه موحى به مطلقاً من الله (لفظاً وأفكاراً) فإنه يسلّم ولاشك بعصمته الحرفية، والعكس صحيح.

ومن الذين ناصروا رأي المجمع الفاتيكاني مؤلفو قاموس الكتاب المقدس؛ حيث يقررون بأن عدد الكتبة قد بلغ ٤٠ كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي، والصياد، وجابي الضرائب، والقائد، والنبي، والسياسي والملك ..... الخ .

وقد استغرقت مدة الكتابة ١٦٠٠ عام تقريباً، ومع أن الأسفار التي يتكون منها الكتاب تختلف من جهة وقت كتابتها، وأسلوبه، فإنها لا تخرج عن كونها نظاماً واحداً مؤسساً على وحي الله، وهي خالية من الزلل، والأخطاء.

ويتابع القاموس كلامه عن تدوين الكتاب المقدس فيذكر أن الكاتب الملهم قد يكتب الوحي الإلهي بنفسه، وقد يوكل مهمة الكتابة لمن يملي عليه، ومع ذلك يحافظ الكتاب على عصمته من الخطأ[(٢)].

ويوافق القس أنس على عصمة الكتاب المقدس؛ حيث يؤكد أن النسخ الأصلية التي خرجت من أيدي الكتّاب هي معصومة تماماً، ولها سلطان إلهي، ليس هذا فحسب، بل إن كل نسخة مطابقة للأصل مخطوطةٌ كانت أو مطبوعة يكون لها نفس السلطان الإلهي، وبالتالي نفس العصمة بالطبع[(٣)].

---

(١) انظر:الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها،(٩٩٩/٢).

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٦٢-٧٦٣، (بتصرف).

(٣) انظر: علم اللاهوت النظامي، ص٦٧.

أما الخوري بولس الفغالي، فعلى الرغم من اعتناقه للرأي القائل بوحي الأفكار دون الألفاظ في الكتاب المقدس، وعلى الرغم من تقريره لمبدأ الحرية المطلقة للكاتب لدرجة أن بوسعه رفض الاستجابة لنداء الله له وأمره بتدوين الكتاب، فإنه يعود ليؤكد أن الإنسان إذا اختار أن يكتب الوحي الإلهي لم يعد حراً في قول ما يشاء، فهو يحمل كلمة الله، والله يسهر على كلمته ،ويؤكد أن الله قد أوصل وحيه كله إلى الناس، وأن هذا الوحي قد جاء معصوماً من الخطأ[1].

إذاً فالخوري بولس يؤمن بأن الكتاب المقدس قد أُوحي بأفكاره – لا بألفاظه – للكتبة الذين استعملهم الروح القدس كآلات حية ناطقة، وفي نفس الوقت عصمهم من الزلل في نقل ذلك الوحي.

وعلى نقيض هذا الرأي نجد الرأي الآخر الذي لا يقرّ بعصمة الكتاب المقدس، ومن أقوى من انتصر لهذا الرأي الأب توماس ميشال اليسوعي حيث يرفض القول بعصمة الكتاب الحرفية بناءً على تبنّيه للرأي القائل بوحي الأفكار دون الألفاظ في الكتاب المقدس.

ويبيّن الأب ميشال أن القول بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس إنما يتبنّاه من يُعرفون بالأصوليين المسيحيين، لأنهم يريدون الرجوع إلى ما يعتبرونه أصول الإيمان المسيحي، إلا أن أكثر المفكرين من الأرثوذكس، والكاثوليك، والبروتستانت (الحاليين) يرفضون القول بذلك، ولا يعتقدونه.

وعند استقصاء الأصل الذي بنى عليه الأب ميشال رأيه نجد أنه بنى ذلك على التفريق بين مضمون البشارة التي يحملها الإنجيل، بل الكتاب المقدس بعهديه، وبين الشكل الذي تقدمّ به هذه البشارة.

فأما مضمونها فهو الخلاص بالمسيح – كما يقول –، وهذا الخلاص هو رسالة الله للناس ومن ثم فهو حق، وأما الشكل الذي قُدمّت به فقد اشترك فيه العنصر البشري، ومن ثم صار عرضة للخطأ[2].

ونجد في هذا الرأي تماشياً، بل وتناسقاً مع القول بوحي الأفكار دون الألفاظ في الكتاب عند الأب ميشال المقدس بشكلٍ لم نجده عند الخوري بولس حين أقرّ بوحي

---

[1] انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، ص٣٨.

[2] مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص١٨-١٩.

الأفكار دون الألفاظ، ثم أصرّ على القول بعصمة الكتاب الحرفية. ومازال هذا الأمر موضوع خلافٍ بين مختلف الطوائف النصرانية، إلا أن العقل السليم، والنظر المستقيم يؤيد الرأي الثاني، وهو **عدم عصمة الكتاب المقدس الحرفية.**